يد الاسرائيليين . وبعد معركة السموع الشهيرة قال (ن. م.) الركن العسكري للواء حطين في اجتماع لضباط الجيش الاردني عقد في مار الياس لدراسة معركة السموع : لنتمكن من مواجهة الفدائيين فاننا سنغلق الحدود ليلة والاسرائيليون سيغلقونها ليلة .

في ظل هذا التصدي القمعي لطلائع الثورة الفلسطينية الحديثة وفي ظل مخطط اعلامي عربي واسع يهدف الى اقناع الامة العربية بعمالة الثوار الفلسطينيين وارتباطهم بحلف السنتو بدليل عدم اختيارهم الوقت المناسب ، كان اليوم السادس من حزيران عام ١٩٦٧ يوما تهاوت فيه القوى العسكرية العربية مثلما يتهاوى الموز العفن . والهزيمة العسكرية على مستوى الامة تعني دائما نهاية شيء وبداية شيء آخر ، الخامس من حزيران كان انطلاقا من تلك الحقيقة ، نقطة تحول وارتداد للجماهير العربية عن ولائها للانظمة العربية الوطنية ، وعن اساليب في التفكير وخاصة في المجال العسكري . وتحت وطأة الهزيمة ونتائجها المجسدة يوميا ، بوجود اسرائيليين على قناة السويس وعلى بعد عشرات الكيلو مترات من دمشق وعمان ، توجهت الجماهير العربية بردة فعل مجردة الى اولئك « الثوار الفلسطينيون الفتحويون » الذين ناقضوا الاستراتيجية العربية قبل وقوع الهزيمة وليس بعدها ، والذين قالوا انهم يملكون المنهج الثوري الفعال الكفيل بخلق الظروف لتحرير فلسطين ومن ثم توحيد الامة العربية . الجماهير العربية توجهت الى ــ فتح ــ ليس بسبب قناعات فكرية وانما بحثا عن ارادة الرفض المسلحة للاحتلال الجديد والتي لا تنتهي حرب الا بانتهائها ، والتي كانت تمثل صفة من الصفات الاساسية ــ لفتح ــ عند ولادتها .

ان هذه المقدمة ضرورية لفهم طبيعة المهمة التي القيت فجأة على كاهل فتح وقبل اكتمال النمو الطبيعي للعناصر التي لا بد منها للقيام بمهمة استراتيجية بهذا المستوى (الرجال، السلاح ، الخبرة) . ومن يطالع ادبيات فتح بعد حزيران مباشرة لن يجد وقفة تحليلية مكتوبة طويلة أمام أسباب الخامس من حزيران . والسبب هو الوضع الجماهيري الضاغط ، الذي كان يريد رصاصا ويرفض باشمئزاز اي كلام ، وادراك قيادات فتح آنذاك للظروف الموضوعية الجديدة والتي لا يجوز ان نرى في بؤسها غير البؤس ، كما قال ماركس ، وانها الان أمام الامتحان الكبير في أن تكون أو لا تكون وان عليها ان تضع يدها على القوى الفاعلة المهيأة للتغير وان وضع اليد يعني ممارسة الكفاح المسلح . ولذلك فان من الخطأ الكبير ان نحدد اطار معركة الكرامة بما جرى يوم الخميس ٢١/٣/ ١٩٦٨ . لقد بدأت معركة الكرامة يوم ١٩٦٧/٢/٢٨ وهو اليوم الذي بدأت فيه فتح مرحلة العمل ضد قوات الاحتلال بعد حرب حزيران وانتهت يوم ١٩٦٨/٣/٢١ .

ان الحقيقة السياسية الاساسية والقائلة ان الحرب امتداد للسياسة ولكن بوسائل اخرى ، تقود ببساطة الى حقيقة اخرى وهي ان المعركة تنتهي عندما ينجح أحد الطرفين بتحقيق الهدف السياسي له حيث يفشل الاخر . واذا ما نظرنا الى معركة الكرامة من هذه الزاوية فيمكننا ان نضعها في اطارها السياسي الحقيقي . ما هو هذا الاطار ؟ عندما صمتت الرشاشات والمدافع على السويس وعلى مشارف دمشق ونهر الاردن كان دايان يقول وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة الثقة انه كلما قرع باب غرفته يظن ان رسول العرب قد أتى ليوقع صك الصلح والاستسلام . فالسياسيون العرب في رأيه واقعيون ، وهو كأحد تلامذة كلاوزفيتس المخلصين يعتقد بأن الارادة تنبع من القوات المسلحة ، والتي دمرت وانتهت ، وبناؤها يحتاج الى ثلاث سنوات على الأقل . يضاف الى ذلك ان الضفة الغربية انتهت فيها المقاومة الشعبية لان اسرائيل الداخلية (النظام الهاشمي) ضمنت أميّة الجماهير بالسلاح والحرب والمقاومة. وفي الفترة التي كان العدو فيها يرفع نظام منع التجول عن الضفة الغربية كان مسؤول عربي كبير يقول لوفد من